الـزراعـة بالمـغـرب الأوسـط
الإمكـانـات والخصائص

د. أحمد بوشريط
جامعة معسكر

مقـدمـة:

لا يخامرنا الشك أن الـزراعـة تلعب دورا مهمـا في التطور الحضاري لأي شعـب مـن الشعوب، اذ تجعـل هذا الأخير يتشبـث بالأرض والاستقرار بها، فكل ذلك.لا محالة- يساعـد على ظهور المدن وتطورها، الا أن هذا التطور مرتبط ارتباطا عضويا بحرفة الزراعة، وهذه الأخيـرة تتحكـم فيها جملـة من العوامـل والإمكانـات، قد توْثـر على المنتـوج الفلاحي ايجابا وسلبا وهذا ما سنستـشـفه من خـلال استقرائنا لبـعض ما ورد في مضـان المصادر الجغرافية.

وعليـه، فمـن خـلال هـذه الورقـة سـأحاول الاجابـة علـى بعـض الإشكـالات والممثلـة في جملـة مـن التساؤلات وهـي: هـل يتمتـع المغـرب الاوسـط بإمكانـات تساعده علـى تطـور هـذه الحرفـة ؟ وإن كـان الامـر كذلك، فهل عمّت كل مناطقه؟ مـا هـي أهـم الخصـائص الـتي تميـز بـه الانتـاج الزراعي بالمغرب الاوسط؟

1- الإمكانات الطبيعية

أ- الـتـربـة

تعتبر التربة من أهـم المقومـات الطبيعيـة الـتي يحتـاج إليهـا الانسـان لممارسة حرفة الزراعة، فالمناطق المعتدلة التي يقـع فيهـا المغـرب الاوسـط، ليست كلها ذات تربة خصبة، فهنـاك مـن الأراضـي مـا تحتـوي عليـه مـن

الخصب الأمر الذي يوفر لأهله خصب العيش من الحبوب والمزروعات، وفي المقابل هناك الحرّة (الحرّة هي الارض ذات حجارة نخرة سود . الفيروزآبادي ،م.(2005) : 79) والتي لا تصلح لممارسة هذه الحرفة، وهو ما يؤكده ابن خلدون بقوله: "اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة، ليس كلها يوجد بها الخصب" (ابن خلدون، ع . 2006:ج2، 399) .

فمن هذه المناطق التي اشتهرت بخصب أراضيها نذكر نماذج منها اشتهر ذكرها في مضان المصادر الجغرافية، وأرومة هذه الحواضر هي:

تلمسان التي عدّها الجغرافيون قاعدة المغرب الاوسط، وعلى حدّ قول الإدريسي " قفل بلاد المغرب " (الادريسي، ش . 1983:ج2 ـ151 ـ البكري،ع. 2003 :ج2 259) وقد عدّت من المدن المنتجة نظرا لخصوبة أراضيها (الوزان ، ح.1983 :ج2 10) وهذا ما يفهم من قول الحميري "وهي كثيرة الخصب والرخاء،كثيرة الخيرات والنعم" (الحميري،ع.135:1984)،" فكان موقعها موقع شريف"، كأنها ملك على رأسه تاج بسبب صحة هوائها وكثرة مياهها (ابن الخطيب،ل.2002: 184) وكل ذلك لكثرة الخصب بها مما أدى الى كثرة الخيرات بها، وبخاصة الموارد الزراعية، والذي انعكس إيجابا على سكانها بسبب تدني أسعار هذه الموارد التي زخرت بها مدينة تلمسان (مجهول، 1985 : 176).

وتبعتها في ذلك وهران التي تقع على ساحل البحر المتوسط وهو يعرف بالبحر الشامي (ورد لفظ البحر المتوسط عند ابن غالب الاندلسي، أ. 1955: 176) الأمر الذي أهّلها لأن تتربع على أراض منبسطة تسمح لسكانها مزاولة حرفة الزّراعة (الوزان،ح.1983:ج2-30) إذ كان أهلها في خصب (الإدريسي،ش.1983: 153/ الحميري،ع.1984: 613).

وبالجوار منها **مستغانم** السّاحلية والتي تحيط بها الأراضي الجيّدة الخصبة، وهذا ما يفسّر وجود بساتين بها وجنّات غنّاء (البكري،ع. 2003: ج2 -251/ الوزان،ح.1983:ج2- 32/ الادريسي، ش 1983 :172/ الحميري،ع.2006 :69). ولحقت بها مدينة **مازونة** والتي عدّت " من أحسن البلاد صفة وأ كثرها ..... خصبا" (الادريسي، ش. 1983: 172- الحميري،ع. 1984: 522) الأمر الذى مكّن أهلها للارتباط أكثر بالأرض وممارسة هذه الحرفة، فانعكس ذلك على انتاجها الزراعي، والذي تميّز بالكثرة والجودة، وهذا ما نستشفه من قول الوزان حين رام وصفها، فقال : "..... فأراضيها كلها مزروعة بسبب جودتها فهي تغطي غلة حسنة" (الوزان،ح. 1983: ج2 ـ 36)، فأصبحت بذ لك هذه المدينة "من أحسن البلاد صفة وأكثرها ..... خصبا" (الادريسي، ش. 1983 : 172 ـ بوعزيز،ي .2007 : 113).

وإذا اتجهنا شرقا على طول ساحل البحر المتوسط تصادفنا **جزائر بني مزغنة**، والتي تتميز بخصوبة أراضيها، إذ يحيط بها عدد من البساتين، وجلّ أراضيها مغروسة، ففي تحليتها يذكر الاصطخري . "وجزائر بني مزغنا، مدينة عامرة ..... وهي من الخصب والسّعة على غاية ما تكون المدن" (الاصطخري، أ. 1937 : 38) ، فهي بذلك تُعَدُّ من المدن الكبرى، إذ تضم نحو 14 ألف كانون (الوزان، ح . 1983 :ج2 ـ 37).

لا ويتصل بهذه المدينة فحص كبير يُسَمَّى : فحص **متيجة** (يذكره البكري " قزرونة واغزر". البكري،ع، 2003 : ج2 ـ 247 ـ 248) وهو "فحص عظيم كثير الخصب" (مجهول، 1985 : 132)، فقد وصفه الوزان بأنه من السهول الجميلة جدا، والذي يتربع على مساحة كبيرة، فطوله يبلغ 45 ميلا وعرضه 36ميلا (الميل هو 4000 خطوة، فتكون الخطوة 173.

72 سم (الجليلي،م. 2005: 45/ إبراهيم، ر. 2003 : 187 وبالمتر تقدر بـــ: 1600 م. حلاق،ح. 1999 : 216) **فُعُدَّ بذلك هذا السّهل من أخصب** أراضي هذه المنطقة. (الوزان،ح. 1983 :ج2 ـ37).

وإذا عرجنا نحو مدينة **المدية، فهي بلد جليل على حدّ وصف الجغرافيين لها، وذلك كلّه بسبب وقوعها في سهل خصيب جدا.** (البكري،ع. 2003: ج2 ـ 247/ الوزان،ح. 1983 :41).

إضافة إلى ما تقدم ذكره من الخصب الذي توفّرت عليه أشهر مدن المغرب الاوسط، والتي اختصرنا الكلام عنها اختصارا إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور مدن، وإن وصف بعضها بالصغيرة، إلا أنها تميزت هي كذلك بوفرة تربتها الخصبة الصالحة للزراعة فمن هذه المدن، نذكر على سبيل المثال لا الحصر **سهل تِسَّلَة** وهو يقع بالقرب من مدينة سيدي بلعباس، وهي مبنية على سهل كبير (الوزان، ح. 1983 : ج2 ـ 25) و**سهل البطحاء** والذي وصف بالفسيح (الوزان ،ح. 1983 : ج2 ـ 25)، و**مدينة مزكان** والتي تقع بالقرب من مصب نهر الشلف؛ فبالرغم من وصفها بالصغيرة، إلا أن أرضها أرض خصب وضرع، اضافة إلى **اقليم بني راشد** والذي يقع بقبليه سهول خصبة، و**تفسّرة** التي تبعد عن تلمسان بـــ: 15ميلا توجد بضواحيها أراضٍ جيّدة تصلح للزراعة، وبخاصة الحبوب منها . (الوزان، ح. 1983 : ج2 ـ 32 ـ 26 ـ 24).

هذه نماذج لبعض الأراضي التي وُصِفَت بخصب جنانها، إلا أن الخصب لن يكون له معنى إلا إذا توفّر عنصر الماء، مصداقا لقوله تعالى ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ (سورة الأنبياء ـ الآية: 30) .

ب- المياه

يعتبر الماء من العناصر الاساسية لاستمرار مزاولة حرفة الزراعة وقد توفر هذا العامل بتوفر كمية التساقط والمجاري المائية الممثلة في الانهار، وعن أهميته يذكر ابن خلدون ما مفاده: "إن ثمرة هذه الحرفة أن يتعهّدها صاحبها بالسقي وتنميتها حتى يبلغ من يعمل بها مقصده" (ابن خلدون،ع. 2006 : ج2 ـ 864). وقد يعبر عن هذا المورد الاساسي بالرزق وهذا ما يفهم من هذا القول "... فإنه ينقسم الى ما يكون رزقا على الاطلاق، كالكلأ والمـاءِ، وغير ذلك " (عبدالله، محمد. 1996: 205) .

ومن النماذج التي نود التوقف عندها مدينة **تلمسان** التي ساعدتها طبيعة أرضها على توفر المياه للسقي، فمن الانهار والتي تنحدر من أعالي الجبال نهر **سفسف** (الوزان،ح.1983 :ج2 ـ 20) وهو المعروف عند البكري بنهر **سطسف** ومنبعته من جبل البغل (ورد ذكر اسم هذا الجبل عند الحميري بهذا الرسم ـــ جبل الفضل ـــ (الحميري،ع.1984 :135) والذي يصبّ في بركة عظيمة من عمل الأول، ولغزارة مياهه يسمع صوته كالخرير على مسافة بعيدة، ومنتهاه عند نهر **أسر** ليتابع سيره الى نهر تافنة ومنه الى مدينة أرشقول. (البكري،ع.2003 : ج2 259 ـ 260) وينظر عن كيفية استغلالها (ابن مرزوق،م.1981 :417/ الفيلالي،ع.2002 :149)

وأما تاهرت، فهي شديدة البرد، كثيرة الغيوم والثلج، وهذا ما يفسّر توفر المجاري المائية وفي وصفها يقول الأصطخري: "....و هي مدينة واسعة البرية.....و المياه".(الأصطخري،ا.1937 :39). وقد ازدانت بعدة أنهار، نذكر منها: نهر **مينة** الذي يقع جنوبها، اضافة الى نهر يجري من عيون تجتمع تسمى: **تاتش** وهو بشرقها، منه تسقى يساتينها.(البكري،ع.2003 :ج2 248). وصفها المقدسي بقوله: "هي بلخ المغرب قد أحدق بها الأنهار.....وتبعت حولها الأعين.....غزير المياه" (المقديسي،م.2003

:185). ونحا نحوها الادريسي بقوله: "وبمدينة تيهرت مياه متدفقة وعيون جارية "ولكثرتها، فهي تصل الى غاية منازلهم". (الادريسي،ش،1983 :157).

وخير من يعبّر عن مناخ هذه المدينة، الشاعر بكر بن حماد (تنظر ترجمته عند الزركلى،خ.2007 :ج2 63). الذي وصف تيهرت في تائيته:

مَا أَخْشَـن البَـرْد وَ رَيْحَـانـه وَأَطْـرَف الشَّمْـس بِتِيهَـرْت

وقد لحقت بهما **المسيلة** التي يخترقها نهـر **سـهر** وهو الذي بنيت عليه هـذه المدينـة، منبعثـه داخـل مدينـة غـدير الـتي تتوفـر علـى ميـاه عذبـة. (البكري، ع.2003 :ج2 240). وهذا ما يوكـده الحميري بقولـه: "تشقها جداول المياه العذبة". (الحميري،ع.1984 :558). و اعتبر ابن سعيد نهر **سـهر** من أجل الانهار. (ابن سعيد،ع.1970 :126).

وأما أشير فبداخلها"عينان تراثان"لا يعـرف لهـا غـور، ولا يـدري أيـن ينتهي عمقهـا، إحـداها: تُـدْعَى عـين سـليمان والأخـرى عـين تـالانتيرغ. (البكـري،ع.2003 :ج2ـ214/ الحمـيري،ع.1984 :60/ مجهـول،1985 :170)، فَعُـدَّت هـذه المدينـة مـن أعظـم مـدن المغـرب الاوسـط (أبـوراس الناصر،م.2005 :ج1ـ98 ـ99).

وقاعدة المغرب الأوسط، **بـجايـة** التي نالـت حظـا أوفـر في مضـان كتب الرحالة والجغرافيين، فهذا العبدري يصفها بأنها كبيرة وشهيرة من بين المدن التي زارها، فهي مقطوعة بنهـر وبحـر، ويسـتمر في وصـفها ووصـف أرضها، فيقول: «ولأهله من حسن الخلق والاخلاق ما أنبأ عن طيب الهواء والماء والتربة". (العبدري،م.2005 :82ـ83). وبحكم موقعهـا الممتـاز، فقـد توفر على عنصر الماء، والممثل في أحد أنهارها الـذي أعتـبر "في نهايـة مـن

الحسن "والذي ينبع من جهة شقرا بصحراء الجنوب. (ابن سعيد،ع.1970: 1942/ الحميري،ع.1984: 81). ولأنّ ماءها سائح، فقد وجد بها قصر سمي بـــ: دار البحر وقد وضع في وسطه الزوارق يدخله ماء كثير، وهو مجلوب من مسافات بعيدة، وهذا القصر المشيّـــد يشرف على نهر كبير. (مجهول،1985 :168).

ومن أعمال بجاية مدينة **ملیانـة** وهي من المدن الكبرى، اشتهرت بكثرة مياهها التي تتدفق من سفوح جبالها،إذ تبقى أراضيها مُخْضَرَّة صيفا وشتاء. (القزويني،ز، دت:273 / الوزان،ح.1983:ج2 35). وذلك بسبب عذوبة مائها، وهذا ما نستشفه من خلال وصف العبدري، فقال وأحسن القول: (البلدة الخصيبة ملیانة ..... أشرفت من كثب على وادي شلف ..... في روضة جمّة الازهار..... وشفى الظماء موردا ..... والماء من رقّته دموع. (العبدري،م.2005 :78 ـ79)، ولوقوعها بسفح جبل زكار، فقد استفادت هذه المدينة من العيون الكثيرة الموجودة به.(الوزان،ح.1983 :ج2 35).

وعلاوة على ذلك، هناك مدن أخرى ازدانت أرضها بطيب مياهها، ولو ذكرناها كلها لكان لنا في ذلك غنية، ولذلك سنختصر الكلام عن بعضها على سبيل المثال لا الحصر، منها: **مستغانم**، كانت ذات عيون وطواحن ماء (البكري،ع.2008 :ج2 ـ251) يصب في شرقيها نهر الشلف ولذا وصفت مياهها بالكثرة. (الادريسي،ش.1983 :172/ ابن سعيد،ع.1970 :142). **وتنس** التي يجري بها نهر، منبعه من الجنوب ومصبه بالبحر. (ابن سعيد،ع.1970 :142). ويوضح الادريسي أهمية المياه بها بقوله: "ولها في جهة الشرق واد كبير كثير الماء وشربهم منه أيام الشتاء والربيع". (الادريسي،ش.1983 :153). وبغربي **بونة** يوجد

ماء سايخ تسقى به البساتين، وأما جبلها ـ زغوغ ـ فهو كثير الثلج. (البكري،ع.2008 :ج2 ـ 234). ومدينة **يـــلل** ، فهي بدورها تتوفر على عيون ومياه كثيرة . (الادريسي،ش.1983 :152). ومدينة **شـــرشـــال** رغم صغرها، فقـــد وصـفـــت المصـادر الجغرافيـة طبيعـة الخـــلابة الغنـــاء، وذلك بما تـوفـر لديهـــــا من ّمياه جاريـــة وأبـــار معينـــة عذبـــــة. (الادريسي، ش.1983 :159/ الحميري،ع،1984 :340).

هذه نماذج عن بعض أنهار بلاد المغرب الأوسط، والتي وصفتها المصادر بأوصاف شتىّ، إلاّ أن الكلام عن هذه الحرفة لا يكتمل دون التعرض الى العنصر البشري الذي له اليد الطولى في تطور هذه الحرفة، وهذا ما سنتطرق له من خلال استقرائنا للمصادر الجغرافيا.

ج- اليـد العـاملـة

تعتبر اليد العاملة، عاملا بشريا مهما لاستغلال مثل هذه الامكانات الطبيعية التي حبا بها اللّه تعالى بلاد المغرب الأوسط، فهو الذي يقوم على"إثارة الأرض وازدراعها، وعلاج نباتها"" ثم يقوم بسقيها، واستخراج حبه من غلافه. (ابن خلدون،ع.2006 :ج2 ـ 864)

كانت **تـلمسـان** أيام حكم بني عبد الواد تحتوي على ستة عشر ألف كانون على عهد حكم أبي تاشفين عبد الرحمان (718 ـ 737 هـ / 1318 – 1337 م) مما جعلها تبلغ درجة عالية من الازدهار. (الوزان،ح.1983: ج2 ـ 17). ويحمل نص الوزان بين طياته تعداد سكان هذه المدينة، فبعملية حسابية بسيطة يمكن معرفة عددهم على وجه التقريب، فإذا أخذنا متوسط عدد الأفراد التي تتكون منهم هذه العائلة أو تلك، وهو ثمانية أفراد، سيكون عدد السكان التقريبي هو (=128000 ساكن)، إلا أن هذا العدد

سيخفض أثناء حصار بني مرين لهذه المدينة. (ينظر عن هذا الحصار ابن سماك العاملي،م.2010 :271).

وهو المذهب نفسه ذهب إليه الحميري، حين رام وصف تلمسان وذكر **قلعة ابن الجاهل** التي تقع جنوبها، فقال: "وهو جبل كبير معمور فيه القرى الكثيرة والعمائر المتصلة. " (الحميري،ع.1984: 135/ البكري، ع. 2008 :ج2 ـ 360)

وإذا انتقلنا للحديث عن مدينة **بجاية**، فقد بلغ الجزء المعمور منها ثمانية ألف كانون، ولو عمّرت كل أراضيها، لوصل الى أربعة وعشرين ألفا. (الوزان،ح.1983 : ج2 ـ 50). ويرجع سبب ارتفاع عدد سكانها لأنها كانت"قطب لكثير من البلاد". (الإدريسي،ش.1983: 161 ـ الحميري،ع.1984: 80). فهذا يدل على أن التجمع السكاني كان بالمناطق الأقل وعورة، إذ يستطيع الفلاح بالمناطق المنبسطة ممارسة حرفة الزراعة.

وأما **قصر جيجل**، ففيهما ما يقرب من خمسمائة كانون، وقد وصف الوزان سكانه بقوله: "ورجاله أشذاء ...وكلهم فلاحون" (الوزان،ح.1983:ج2 ـ 52). وعلى مقربة منه **جبل بني زادوي** تتجمع به قبائل كثيرة من البربر يعمرونه لا لشيء إلا لأن أراضيه كثيرة الخصب. (الحميري،ع.1984: 184 ـ الإدريسي،ش.1983: 168).

وهناك مدن أخرى لم يلتزم الوزان فيها بالدقة حين رام وصفها، وتحديد عدد سكانها، فمن أمثلة هذه المدن، مدينة **العبّاد** ، فعلى الرغم من صغرها إلاّ أن الكثافة السكانية كانت بها كثيفة، ونفس الكلام ينسحب على مدينة **مزكان** القريبة من مصب نهر الشلف، وكذا مدينة **مستغانم وشرشال**، فكلها كانت كثيرة السكان على حد وصف الوزان. (الوزان،ح.1983: ج2 ـ 32 ـ 34).

2- الإنتاج الزراعي

بتظافر العوامل السابقة الذكر، مكن لهذه الأرض أن تؤتي أكلها مصداقا لقوله تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ﴾(سورة النحل،الآية:11). وبتتبعنا لما جاء بالمصادر الجغرافية يمكن تتبع خط الإنتاج الزراعي، وما يزخر به المغرب الأوسط من خيرات، فهذا الأخير كان يحتوي على"بساتين رائقة ما زخرفت عروشه ونمقت غروسه ..... والحدائق الغلب بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين". (ابن خلدون،ي.1980: 86).

وهذا ما نستشفه من خلال هذا الجدول:

تلمسان	الرمّان ـ التين ـ الزيتون ـ الخوخ ـ الجوز ـ اللّوز ـ البطيخ ـ الخيار ـ القمح.	(ابن خلدون،ي.1980: 88/ الوزان،ح.1983: ج2 ـ 20)
هنين	الكرز ـ المشمش ـ التفاح ـ الإجاص ـ الخوخ ـ التين ـ الزيتون ـ الخروب ـ القطن.	(الوزان،ح.1983: ج2 ـ 15 ـ 16)
ندرومة	الخروب ـ القطن ـ فيها جميع الثمار.	(الوزان،ح.1983: ج2، 4 1 / البكري،ع.2008: ج2، 263)
بريشك	التين ـ الكتان ـ الشعير الفواكه ـ حنطة كثيرة.	(الوزان،ح.1983:ج2/ 33 ـ الإدريسي،ش.1983: 158).
شرشال	فواكه ـ سفرجل ـ كروم ـ الحنطة ـ الشعير ـ التوت .	(الإدريسي،ش.1983: 159/ الحميري،ع.1984: 340)
مزغنة	الفواكه ـ القمح ـ الحنطة ـ الشعير.	(الوزان،ح.1983: ج2،3/ الإدريسي،ش.1983: 159)
ملیانة	الجوز .	(الوزان،ح.1983: ج2 ـ 35)
تاهرت	السفرجل.	(الحميري،ع. 1984: 126).
المسيلة	قطن ـ قمح ـ شعير.	(الإدريسي،ش.1983: 156 البكري،ع.2008: ج2 ـ 239)
تنس	فواكه ـ الحنطة ـ السفرجل ـ سائر الحبوب .	(الإدريسي،ش.1983: 153 الوزان،ح.1983: ج2 ـ 36)
تبحريت	الخروب .	(الوزان،ح.1983: ج2 ـ 15)

من حصاد المعلومات الواردة في الجدول، يتضح لنا جليّا أنّ بلاد المغرب الأوسط وأقاليمه، قد تميّز بتنوع محاصيله الزراعية، فعدّ هذا الأخير بلدا فلاحيا، وذلك يعود الى عدّة عوامل منها: الموقع والتربة الخصبة وتنوع أقاليمه المناخية. (سامعي،إ.2006: 74). إضافة إلى إمكاناته البشرية، فكل هذه العوامل مجتمعة ساهمت كثيرا على تطور حرفة الزراعة، وبالتالي تطور إنتاجه كما وكيفا، وهذا ما سيتضح لنا جليّا من خلال تعرضنا لأهم خصائص هذا المنتوج أو ذاك.

3- خصائص الزراعة بالمغرب الأوسط

أ- من حيث الكثرة

يتميّز المنتوج الزراعي ببلاد المغرب الأوسط بالوفرة، وهذا ما يعرف في أدبيات الجغرافية الاقتصادية بـ: "فائض الإنتاج"وهذا ما نستشفه من خلال مطالعتنا لبعض المصادر، وبخاصة الجغرافية منها.

أول هذه المدن مدينة **البطحاء** التي تقع في سهل فسيح يستغل في زراعة الحبوب منها: القمح والذي يوفر لتلمسان دخلا يقدر بعشرين ألف مثقال (المثقال هو مقدار من الوزن، ومنه مثقال الشيء وزنه). (إبراهيم،ر. 2003: 196/ الجليلي،م. 2005: 137) (الوزان،ح.1983: ج2 ـ 25 ـ 28.) والقول نفسه ينطبق على مدينة **دلس وجزائر بني مزغنة.** (الوزان،ح.1983: 42 - 37). وأما **تنس** فيفهم من كلام الإدريسي عنها، أنّها تنتج كل أنواع الحبوب التي تصدر خارجها، فقال: "وتخرج منها الى كل الآفاق في المراكب " (الإدريسي،ش.1983: 153) فكانت الأندلس أحد محطات هذه المراكب. (ابن سعيد،ع،1982: 142)، وهذا ما يؤكده صاحب الاستبصار بقوله: أنها كثيرة الورع، ومنها كان يحمل

الطعـــام الى كـــل من الأندلس وبلاد إفريقية وبـلاد المغـرب. (مجهـول، 1985: 133). وهذا الكلام ينسحب على **قسنطينـة** التي تميّزت بـوفرة إنتـاج الحبـوب، فوصف الإدريسي لها يوْكد لنا ذلك. "والحنطة تقيم بها في مطامرها مائـة سـنة لا تفسد" ثم يضيف قـائلا: "وفي مـل دار منهـا مطمـورتـــان وثـلاث وأربـــع منقـــورة في الحجـــر". (الإدريســي، ش. 1983: 116 -117 / المقريـــزي، ع. 2006: 68)، إضـافة الى تـوفر الـتين بهـا والزيتـون ومحاصـيل أخـرى، تحمـل للآفـــاق ويصدر نحو المدن المجاورة، مثل: القالة وجيجل. (الـوزان،ح.1983: ج2 ـ 103).

لم يقتصر الإنتاج على الحبوب، بـل تعـدّاه الى محاصـيل أخـرى امتـازت هـي كذلك بوفرتها، وكل ذلك بسبب الخصب، فإذا انتقلنا الى ضواحي **هنيـــن** فـالتين والزيتون بهما يتميّز بالوفرة، وهذا ما عبّر عنه الوزان بقوله: "وما لا يحصـى مـن التين والزيتون"حتّى لا يوجد من يقطفها لكثرتها.(الوزان،ح1983: ج2ـ 16).

وهذا الوصف ينسحب على بعض مدن المغرب الأوسط، فمثلا: إنتـاج مدينة **بـريـشك** من الكتان والشعير كان يصدر جزء منه، وجزء من إنتاجها من التين والكتان، إذ كان يحمل الى كل من مدينتي جزائر بني مزغنة وبجاية، ليصل بعدها الى تونس.(الوزان،ح.1983: 33/ الإدريسي،ش، 1983: 158) والأمر نفسه ينطبق على **قصـــر جيجـل** الذي كان يقوم بتصـدير الفـائض من الجوز والتين الى تـونس في سـفن صـغيرة إضـافة الى تـوفر القنّـب بهـا (القنّـــب: البرس منه طـــول شجرتـــه ذراع، ورقها يغلـب عليه البياض، وثمرتهـــا كالفلفـــل، وهـــو مخـــدر. (القـــزويني،ز.دت: 257). بكثـــرة (الوزان،ح.1983: ج2 ـ 52).وأما جبل **بـنـي ورنـيد،** يتميّز بإنتـاج كميـات

وافرة من الفواكه منها: التّين والكرز، الذي بلغ دخله اثنا عشر ألف مثقال. (الوزان،ح.1983: ج2 ـ 44).

ب- من حيث الجودة و النوعية

لم يقتصر الإنتاج الزراعي على الكثرة، بل تعداه الى خاصية أخرى وهي الجودة والنّوعية التي تميّزت بها ثمار المغرب الأوسط، فهذا الوزّان يوضّح حين رام ذكر ما تزخر به **تلمسان** وما تجود به أرضها، فقال: "الكروم المعروشة الممتازة، والتي تنتج أعنابا من كل لون وهي طيبة المذاق" ثمّ يعدد أصنافا أخرى من ثمارها، فيذكر بأنها تتوفر على أنواع عديدة من الكرز الذي لا يرى له مثيل في الأفاق وأمّا تينها، فهو شديد حلاوة، وهو أسود وطويل غليظ، ولجودته يقوم الفلاح بتجفيفه ليوْكل في قصل الشتاء. (الوزان،ح،1983: ج2 ـ 20).

وامتازت **مازونة** هي الأخرى بجودة غلّتها، ويعود ذلك الى خصب أرضها، فكانت غلّتها حسنة على حدّ تعبير الوزان. (الوزان،ح. 1983: ج2 ـ 36). وهذا ما يوْكده لنا الإدريسي بقوله: "وهي من أحسن البلاد صفة". (الإدريسي،ش.1983: 172/ الحميري،ع.1984: 522).

وأمّا **جزائر بني مزغنة،** فهي فرضة مشهورة. (ابن سعيد،ع.1970: 142) يمتاز قمحها بالجودة، إضافة الى مدينة **شرشال** والتي امتازت بتنوع فواكهها، منها: التوت الأبيض والأسود، والذي يتوفر بكميات وفيرة. (الوزان،ح.1983: ج2 ـ 36 ـ 34).

وقد لحقت بهذه المدن، مدينة **تنس** التي احتوت من الفواكه كل طريفة وانفردت بسفرجلها"الطيب المعنق، ما يفوق الوصف في صفته وكبره وحسنه". (الإدريسي،ش. 1983: 153). وقد اختصت به هذه المدينة دون غيرها. وهذا ما يفهم من وصف الحميري لها. "ولها من

السفرجل الطيب ما لا يوجد في غيرها". (الحميري،ع.1984: 138). وكذا مدينة **الخضراء** التي لحقت بتنس من حيث طيب سفرجلها، التي تنتج منه كل بديع.(الإدريسي، ش.1983 : 153) ونحا نحوه الحميري بقوله: "..... وهي مدينة صغيرة بها من السفرجل كل شيءٍ حسن. " (الحميري،ع. 1984: 223).

بالإضافة إلى مدن أخرى امتازت بطيب زرعها وتنوعه، نذكر منها: مدينة **تسّلة** التي تنبت أرضها "قمحا جيّدا جميل اللّون غليظ الحبّ. (الوزّان، ح.1983: ج2 ـ 25). ومدينة **تدلّس** التي يوجد بها من الفواكه ما لا يجد بعيرها مثلها (الإدريسي،ش.1983: 168). ومدينة **وهران** والتي قال الزياني في تحليتها: "هي مدينة من مدن المغرب الأوسط..... ذات..... حبوب عديدة، وفواكه وخضر جديدة" (الزياني،م.1978: 25 ـ المزاري،أ. 1990: ج1 ـ 58).

الخاتمة:

تعتبر الزراعة من أقدم الحرف التي مارسها الإنسان على وجه هذه البسيطة والتي بدأت تتطور بتطور الإنسان والأدوات المستعملة، ولم يكن المغرب الأوسط بعيدا عن مزاولة سكانه لها، وهذا ما أفادتنا به كتب الجغرافيين و الرحالة . وبناءً على ما تقدم ذكره، فقد توصلت الى النتائج التالية:

– لقد ارتبطت حرفة الزراعة ارتباطا وثيقا بعوامل عدّة، منها: الطبيعية والممثلة في الأراضي الصالحة للزراعة، وبخاصة المنبسطة منها: (السهول) إلاّ أن الأراضي الوعرة لم تخل منها وبخاصة المناطق الجبلية .

– توفر المياه ومصادرها، منها: كمية التساقط سواء كانت أمطارا أم ثلوجا، والتي تعمل على تغذية الأنهار.

- إن اختلاف تضاريس المغرب الأوسط وتعدد أقاليمه المناخية أدي الى تنـوّع في أقاليمه النباتية ووفرة منتوجه، الأمر الذي أدى الى تسـويقه داخـــل بـــــلاد المغرب الأوسط وخارجه، فوصل الى كـل مـن تـونس والأنـدلس، وغيرهـا مـن البلدان، فانتشر إنتاجه الزراعي وعمّ الآفاق.

وفي الأخير، فلا مناحة من القول أن هـذه الإمكانـات كلـها مرتبطـة ببعضـها البعض ارتباطا عضويا لا يمكن الاستغناء عنها، فهي الـتي سـاعدت علـى تطـوير الإنتاج وتنوّع محاصيله.

قـائمـة المصـــادر:

ـ القـران الكريـــم:

- الإدريسي،الشريف. (1983). القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، الجزائر: ديوان المطبوعـات الجامعية.
- الأصطخري، إبراهيم. (1937). مسالك الممالك، بيروت: دار صادر.
- البكري، عبدالله. (2003). المسالك والممالك، ط1ـ لبنان: دار الكتب العلمية.
- الحميري، عبدالمنعم. (1984). الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2. بيروت: مكتبة لبنان.
- ابن الخطيب، لسان الدين. (2002). معيـار الاختيـار في ذكـر المعاهـد الـديار، ط. القـاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- اين خلدون، عبدالرحمن. (2006). مقدمة، ط4 ـ القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزي.
- ابن خلدون، يحيى. (1980). بغية الروّاد في ذكر الملوك من بني عبـد الـواد، الجزائـر: المكتبـة الوطنية.
- ابن سعيد، علي. (1982). كتاب الجغرافيا، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ابن سمّاك، العاملي. (2010). الحلل الموشيّة في ذكـر الأخبـار المراكشـية، ط1ــ لبنـان: دار الكتب العلمية.
-العبدري، محمد. (2005). رحلة، ط2، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر.
- ابن غالب، الأندلسي. (1955). قطعة من كتـاب فرحـة الأنفـس، القـاهرة: جامعـة الـدول العربية.
- القزويني، زكريا. (دت). اثار البلاد و أخبار العباد، بيروت: دار صادر.

- القزويني، زكريا. (دت). عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.
- مجهول، (1985). كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار.
- ابن مرزوق، محمد. (1981). المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، الجزائر: المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع.
- المقدسي، محمد. (2003). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لبنان: دار الكتب العلمية.
- المقريزي، تقي الدين. (2006). جني الأزهار الروض المعطار. ط1 ـ القاهرة: الدار الثقافية للنشر.
- الوزّان، حسن. (1983). وصف إفريقيا، ط2 ـ لبنان: دار الغرب الإسلامي.

قائمة المراجع:

- إبراهيم، رجب.(2003). ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري. ط1ـ القاهرة: دار الآفاق العربية.
- بوعزيز، يحيى. (2007). الموجز في تاريخ الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- الجليلي، محمود. (2005). المكاييل والأوزان والنقود العربية. لبنان: دار العلم للملايين.
- حلاّق، حسن. (1999). المعجم الجامع في المصطلحات، لبنان: دار العلم للملايين.
- الزركلي، خيرالدين. (2007). الأعلام. لبنان: دار العلم للملايين.
- الزياني، محمد. (1978). دليل الحيران وأنيس السّهران في أخبار مدينة وهران، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- سامعي، إسماعيل. (2006). دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي، الجزائر: دار الهدى.
- عبد اللّه، محمد. (1996). ولاية الحسبة في الإسلام، القاهرة: مكتبة الزهراء.
- فيلالي، عبدالعزيز. (2002). تلمسان في العهد الزياني، الجزائر: موفم للنشر و التوزيع.
- المزاري، الآغا. (1990). طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
-الناصر، أبو راس. (2005). عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، الجزائر: منشورات crasc.